

توظيف الصهيونية لعقيدة «المسيح» اليهودية وانعكاساتها على الممارسات الإسرائيلية العدوانية

■ د. أحمد البهنسي^(١)

ملخص

تعدّ عقيدة «المسيح» أو المسيح المُخلّص من العقائد المركزية في اليهودية، والتي تأثرت كثيراً بالتطوّرات السياسية والتاريخية التي مرّت بها الجماعات اليهودية، وتحكّمت بها كذلك الضرورة أو الحاجة النفسية التي ظهرت عند تعرّض هذه الجماعات لأزمات تاريخية أو لهزائم سياسية وعسكرية.

يقف هذا البحث على السمات المميزة لهذه العقيدة، من خلال تحليل التطوّرات والخلفيات الدينية والتاريخية والسياسية المتعلقة بها، وكذا تطوّر السياق الدلالي للفظ «المسيح» بالعبرية. كما يحلّل التوظيف الصهيوني لهذه العقيدة لخدمة المشروع الاستعماري للصهيونية، وتبرير الأعمال العدوانية الإسرائيلية المعاصرة، لا سيّما ما يتعلّق باستيطان الأراضي العربية (الفلسطينية)، وإقامة الهيكل اليهودي المزعوم بالقدس الشريف، والحرب العدوانية الأخيرة على غزّة.

الكلمات المفتاحية: عقيدة المسيح، اليهودية، الصهيونية، التوظيف السياسي، الخلاص، الاستيطان، غزّة.

١ - باحث مصري متخصص في الدراسات اليهودية، دكتوراه في الديانة اليهودية وتاريخ الأديان، جامعة القاهرة.

Zionism's Appropriation of the Jewish 'Messiah' Doctrine, Its Repercussions on Aggressive Israeli Practices

■ Dr. Ahmad Al-Bahnasi⁽¹⁾

Abstract

Messiah doctrine, or redeemer, is a cornerstone of Jewish thought, its features shaped by political and historical transformations, as well as the psychological imperatives imposed by the crises and defeats faced by Jewish communities. This research examines the essential characteristics of this doctrine by analysing its religious, historical, and political backgrounds, and tracing the evolution of the meaning of the term "Messiah" in Hebrew. It also sheds light on the Zionist movement's exploitation of this doctrine to serve its colonial project and justify its aggressive practices, particularly concerning the settlement of Palestinian lands, plans to establish the alleged Temple in Jerusalem, and the recent aggression against the Gaza Strip.

Keywords: Messiah Doctrine, Judaism, Zionism, Political Exploitation, Salvation, Settlement, Gaza.

1 - An Egyptian researcher specializing in Jewish studies, PhD in Judaism and History of Religions, Cairo University.

مقدمة

تواجه الباحث في اليهودية عدّة إشكاليّات علمية ومنهجية، لعلّ من أهمّها اتّصاف اليهودية بصفة «التطور»؛ بمعنى أنّها ديانة مرّت بعدّة مراحل أدّت إلى تطوّرها بشكل كبير ومعقّد رغم أنّها نزلت بسيطة؛ بدءاً بمرحلة الآباء أو البطارقة، وهم مجموعة الشخصيات الدينية الرئيسة في اليهودية، مثل (آدم)، و(إبراهيم)، و(إسحق)، و(يعقوب)، و(يوسف) (عليه السلام)، وصولاً إلى عصر (موسى) (عليه السلام). ومن ثمّ استيطان أرض كنعان، وإقامة مملكة (داوود) و(سليمان) (عليه السلام) بها حتى انقسامها إلى مملكة شمالية وجنوبية، ثمّ وقوع السبي البابلي عام ٥٨٦ ق.م الذي مثّل تحوّلاً تاريخياً في تاريخ جماعة بني إسرائيل وفكرهم الديني.

في ضوء ما سبق، وُصفت اليهودية بأنّها «ديانة تاريخية»؛ لأنّها ديانة تحكّمت فيها مسيرة تاريخ الجماعات اليهودية على مدار عصور مختلفة، وهو ما أدّى لتعرّضها للتغيير المستمرّ؛ إذ ظهرت بها كثير من الشرائع والعقائد المتأثّرة والمقتبسة من ديانات وثقافات أخرى، اختلطت بها اليهودية على مرّ تاريخها؛ نظراً لسيطرة ما تُعرف بظاهرة «الدياسبورا» أو «الشتات» على تاريخ الجماعات اليهودية؛ حيث تشبّث اليهود إلى جماعات تعيش في بلدان متفرّقة تحت ظروف سياسية، وثقافية، واجتماعية متباينة^(١).

١ - محمد خليفة حسن: تاريخ الأديان - دراسة وصفية مقارنة-، ص ١٧٩-١٨٠.

ومن الممكن القول إنَّ اليهودية تقوم على ثلاث عقائد رئيسة، وهي «الاختيار»: التي تقوم على فكرة أنَّ الله اختار بني إسرائيل من بين الأمم والأقوام، ليحملوا رسالته. و«العهد»: أي أنَّ الله قطع معهم عهدًا خاصًّا بأن يكونوا من الناجين، ومن الأفضل بين الأمم. وأخيرًا «الخلاص»: التي تعني أنَّ الله سيُرسل لهم شخصًا «ماشِيح»، أو مسيحيًا من نسل (داوود)، صاحب أوَّل مملكة في تاريخ بني إسرائيل، يقودهم للخلاص. يركِّز هذا البحث على فكرة عقيدة «الماشِيح» في اليهودية، والتي تعدُّ من أبرز المعتقدات الدينية التي شكَّلت وعي الجماعات اليهودية عبر العصور وحتى الآن؛ إذ ارتبطت بالخلاص الديني والقومي معًا، فقد كانت تمثل أملًا روحيًّا، وحافزًا للحفاظ على الهوية اليهودية أمام التحديَّات الخارجية والاضطهادات التاريخية. كما يهدف البحث إلى تحليل السمات المنطوية على التطوُّر التاريخي المتأثر بمؤثرات سياسية ونفسية لهذه العقيدة، خاصَّة أنَّها ظهرت وتطوَّرت ضمن سياق تاريخي طويل، يمسُّ الجماعات اليهودية ومعتقداتها المختلفة؛ إذ يحاول البحث سبر أغوار العوامل البنيوية المؤثِّرة في ظهور هذه العقيدة وتطوُّرها، خاصة ما يتعلق بارتباطها بضرورة أو حاجة نفسية رافقت الجماعات اليهودية في أزمتاتها المختلفة. يرمي البحث كذلك إلى وصف وتحليل التوظيف السياسي/القومي الصهيوني لهذه العقيدة، لتحقيق الأهداف الاستعمارية للصهيونية، وفي مقدِّمتها استيطان الأراضي الفلسطينية، وإقامة دولة اليهود عليها، محاولًا الوقوف على الأزمة التي تسبَّب فيها إعادة التفسير الصهيوني لهذه العقيدة، سواء على المستوى الديني أم حتى التاريخي.

أولًا: «الماشِيح» في اليهودية... تطور المفهوم وسياقاته المختلفة

تعد فكرة أو عقيدة المُخَلَّص أو الماشِيح من الأهم في اليهودية، وليس أدلَّ على ذلك من أنَّ الحاخام اليهودي الشهير (موسى بن ميمون)^(١) (١١٣٥-١٢٠٤)، الذي يُنسب إليه وضع

١ - أبو عمران موسى بن ميمون بن عبيد الله القرطبي (بالعبرية: מֹשֶׁה בֶּן-יִמְיָם؛ ١١٣٥ - ١٢٠٤) المشهور في الغرب باسم (ميمونيديس) (بالإغريقية: Μαϊμωνίδης). ويشار إليه كذلك باسم رمب"ם «رمبام» وهي اختصار لربي مشه بن ميمون؛ أي الرباني (موشيه بن ميمون)، واشتهر عند العرب بلقب (الرئيس موسى)، وكان فيلسوفًا يهوديًا سفارديًا، وأصبح من أكثر علماء التوراة اجتهادًا ونفوذًا في العصر الوسيط. كما كان عالم فلك وطبيبًا بارزًا.

٢ - اختلفت المصادر في تحديد العام الذي وُلد فيه (ابن ميمون)؛ فبعضها ذكر أنَّه العام ١١٣٥، وبعض آخر ذكر أنَّه العام ١١٣٨.

النسقين التشريعي والعقدي لليهودية، عدّها من الأصول الثلاثة عشر التي تقوم عليها أركان الديانة اليهودية^(١).

لكن عند استعراض جذور هذه العقيدة وتحليلها يمكننا أن نستخلص من ذلك عدّة سمات وأوصاف تتسم بها؛ ذلك أنّه لا يمكن بأي حال من الأحوال الاكتفاء باستعراض كمّ معرفي عنها فقط من دون الوقوف على تلك السمات التي تتسم بها، بشكل يجعلنا أكثر قدرة على فهمها وتحليل مدى تأثيرها، سواء على شخصية الفرد اليهودي أم حتى على ممارسات إسرائيل، لا سيّما العدوانية منها. وهو ما يمكن أن نستعرضه على النحو الآتي:

١ - التطوُّر والتعدُّد

لم تكن عقيدة «الماشِيح»، باعتبارها من العقائد والمفاهيم الأساس في اليهودية، بعيدة عن صفة التطوُّر التي اتّصفت بها اليهودية وتاريخها الطويل، وهو التطوُّر الذي أدّى إلى وجود معانٍ وتفسيرات، بل ودلالات متعدّدة لهذا المفهوم، ظهرت نتيجة إمّا للأحداث التاريخية، أو للأزمات السياسية التي مرّت بها الجماعات اليهودية^(٢)، أو الحاجة الدينية، أو حتى الضرورة النفسية للشخص اليهودي.

بالنسبة إلى المعاني الأساس لمفهوم أو عقيدة الماشِيح باليهودية، فتشير النصوص الدينية اليهودية المقدّسة، لا سيّما المقرّ (العهد القديم) إلى أنّ المسيح المُخَلَّص / الماشِيح هو شخص؛ أي بشر، وسيكون من نسل (داود) الملك العادل (כִּי-יֵלֵד יֵלֵד-לָנוּ، בֶּן-נִתָּן-לָנוּ، וְהָיָה הַמְּשֻׁחָה. עַל-שִׁכְמוֹ؛ וַיִּקְרָא שְׁמוֹ פִּלָּא יַעֲזַר. אֶל-גְּבוּר. אֲבִי-עֵד. שֶׁר-שָׁלוֹם. לְמַרְבָּה) (הַמְּשֻׁחָה. וּלְשָׁלוֹם אֵין-קֵץ. עַל-כֹּסֶם דָּוִד וְעַל-מַמְלַכְתּוֹ. כִּהְכִין אֹתָהּ וּלְסַעְדָּהּ. בְּמִשְׁפֹּט וּבְצִדְקָה؛ מִעֲתָהּ. וְעַד-עוֹלָם. קִנְיָת יְהוָה צְבָאוֹת. תַּעֲשֶׂה-זֹּאת)^(٣).

١ - ابن ميمون: سلسلة الشريعة اليهودية - شرائع الملوك وحروبهم، ص ٧٩.

٢ - عن الأزمات التي جابهت اليهودية على مر تاريخها. يمكنك العودة إلى: أحمد البهنسي: القراؤون والإصلاحيون اليهود، ص ٤-٦.

ترجمة هذا النص: «لأنَّه يولد لنا ولد، وأعطي ابنًا لنا، وتكون الرئاسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبيًا مشيرًا إلهاً قديرًا أبًا أبدًا رئيس السلام، لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، ليشبها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غير رب الجنود تصنع هذا». فالماشيح المذكور بالنص سيكون من نسل (داود)، وسيقيم مملكة العدل بالحق والفضيلة. كما وردت في المِقمرا (العهد القديم) أكثر من إشارة، في سفر إرميا تحديدًا، إلى أنَّه سيكون من نسل (داود) وذريته تحديدًا، مثال (וְהָקִמְתִּי בְדָוִד צִמְחָא צְדִיק וּמֶלֶךְ מְלֶכְךָ וְהַשְׁכִּיל וְעָשָׂה מִשְׁפֹּט וְיִצְדָקָה בְּאֶרֶץ: בְּיָמָיו תִּשְׁעַה יְהוּדָה וְיִשְׂרָאֵל יִשְׁכֹּן בְּבֵטֶחַ זֶה - שְׁמוֹ אֲשֶׁר - יִקְרָאוּ יְהוֹה צְדִיקוֹ)^(١). وترجمته: «وأقيم لداود غصن بر، فيملك مُلكًا وينجح ويُجري حقًا وعدلاً في الأرض. في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمنًا، وهذا هو اسمه الذي يدعوه به يهوہ برنا». لكن المجال الدلالي لكلمة «ماشيح»، في النصوص الدينية اليهودية المقدسة، يتسع تدريجيًا، ويتعدّد إلى أن يضمّ عددًا كبيرًا من المدلولات، تتعاش كلُّها جنبًا إلى جنب داخل التركيب الجيولوجي التراكمي اليهودي؛ فلفظة «الماشيح» تشير - في عموميتها - إلى كلِّ ملوك اليهود وأنبيائهم، بل كانت تشير أيضًا إلى (قورش)، ملك الفرس، الذي أنقذ اليهود وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين مرّة أخرى ليستوطنوها. كما أصبح يشير هذا المصطلح كذلك إلى أي فرد يقوم بتنفيذ مهمّة خاصّة يوكلها الإله إليه. وهناك في المزامير أيضًا إشارات متعدّدة إلى الشعب اليهودي على أنَّه شعب من المُشحاء^(٢).

لذلك لم يأخذ مفهوم الماشيح في اليهودية بُعدًا واحدًا، بل اتخذ عدّة مفاهيم، فهو الماسح الذي جاءت لتدل عليه المفاهيم التوراتية التي أشارت ابتداءً إلى أَنَّ الْمُخَلَّص «הַמְּשִׁיחַ» الماشيح، هو الممسوح بالزيت المبارك، وهي علامة ملكه وسلطانه الذي سيحكم به العالم، ويثبت سلطان بني إسرائيل، ويفضّلهم على سائر الأمم، ويجعلهم حكام الأرض^(٣).

1- 5-6 : 23، هيمري - 1

٢ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية... والصهيونية، ص ٣٠٧.

يوسف كِلوزنر، الرعيون المשיحي في إسرائيل، הוצאת האקדמיה הלאומית הישראלית למדעים، תל אביב، 3 - 1950، עמ' 34

تطوّر هذا المفهوم ليأخذ أشكالاً متعدّدة بعد كل فترة تاريخية وسياسية من فترات التاريخ اليهودي العام، وفقاً للأحداث التي تأثّر بها اليهود، أو كل أزمة تاريخية تهدّد واقعهم واستمرارهم، ليتحوّل مفهوم الماشيخ إلى إشارة لشخصية معيّنة دليلاً لتسقط عليها مدلولها العقدي، فتطلق عليه اسم الماشيخ، وبعد انتهاء الأزمة أو حلّها، نراها في الأزمة التالية تتحوّل إلى ماشيخ آخر، فتارة يكون هذا الماشيخ حتى من خارج الديانة اليهودية، مثل (قورش) الملك الفارسي الذي أنقذهم من نير الاستعباد البابلي، ليكون هو الماشيخ المنقذ لهم، وبعدها أصبح الماشيخ هو (إلياس)، الذي يؤمنون برفعه إلى السماء ثمّ يكون ملكاً صديقاً، أو عزرا اللّذين يؤمن اليهود بأنّهما ما زالا على قيد الحياة. كذلك يُعدّ النبي موسى (عليه السلام) هو الماشيخ في بعض التفاسير والرؤى اليهودية، والقضاة الاثنا عشر لدى بني إسرائيل^(١)... وغيرهم.

الملاحظ أنّ مفهوم الماشيخ عند بني إسرائيل في الأحوال الطبيعية ينحو منحى مادياً، بعيداً عن المفاهيم الغيبية؛ حيث لا يفكر بنو إسرائيل في ماشيخ إلا عندما يصيبهم البؤس والشقاء، وإذا استقرّت الأحوال، فإنّ مهمّة الماشيخ تكون زيادة المكاسب والحفاظ عليها، وإذا كانت الأحوال سيئة تكون مهمّة الماشيخ فكّ الأغلال عن رقبة شعبه^(٢).

يسجل الباحث في هذه النقطة ملاحظة يراها مهمّة، وهي أنّه إذا كان اليهود على مرّ تاريخهم عرفوا بأنّهم «جماعة وظيفية»؛ أي ارتبط أعضاؤها بوظائف ومهام معيّنة، سواء مادية أم حتى تاريخية، فيبدو أنّ تعاملهم مع دينهم كان وظيفياً أيضاً؛ إذ نجحوا في تطويع عقيدة الماشيخ وتوظيفها بشكل يخدم أغراضهم، ويمكنهم من اجتياز أزماتهم السياسية والتاريخية بل النفسية أيضاً؛ فقد بدا هذا المفهوم مطّاطاً ومرناً بشكل أمكن معه تطويعه بسهولة في كل فترة، أو بمصاحبة كل أزمة يهودية. وبالتالي، لم يكن غريباً أن يجد فيه آباء الصهيونية ضالّتهم - دون غيره من المفاهيم والعقائد اليهودية - لاستخدامه وتوظيفه لتبرير أيديولوجيتهم، ومجابهة ما عُرفت بالأزمة أو المسألة اليهودية التي نشأت في الغرب، لدرجة أنّ بعضهم وصف الصهيونية

١ - محمد الناصر صديقي: فكرة المخلص - بحث في الفكر المهدوي، - ص ٥٢.

٢ - عبد القادر صالح: العقائد والأديان، ص ٢٨٧.

بأنّها حركة مشيخانية بالأساس^(١). وهو ما ستعرض له بشكل أوسع في جزء آخر من هذا البحث. يُلاحظ كذلك أنّ هذا المفهوم طغت عليه السمة السياسية إلى حد كبير؛ إذ بدت شخصية الماشيخ في النصوص الدينية اليهودية منتسبة إلى إرث سياسي، بجعله حصراً من نسل (داوود) الملك، وهو في المفهوم الديني اليهودي مجرد ملك دنيوي، وليس نبياً يوحى إليه. ومن ناحية ثانية، نلمس أنّه لاهوت توسعي يجعله يمثل سلطة كونية، يقوم على إخضاع البشرية كلّها إلى السلطة اليهودية، في وقت كان اليهود يعيشون حالة من الضعف والخضوع للسلطات المحلية المهيمنة في بابل وآشور في الشمال، أو مصر في الجنوب^(٢).

لم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ في ما يتعلّق بتعدّد أوجه مفهوم الماشيخ باليهودية؛ فالنزعة المشيخانية أخذت أشكالاً مختلفة؛ فهي تعدّ تعبيراً عن الحلولية اليهودية (أي حلول الإله في مخلوقاته وتوحيده معهم)، كما تكتسب بُعداً مادياً قومياً شوفينياً متطرفاً (إذ كانت حلولية ثنائية صلبة)؛ حيث إنّ وصول الماشيخ يعني عودة الشعب المختار إلى صهيون، أو وصوله إلى أورشليم التي سيحكم منها الماشيخ، قائد الشعب اليهودي، بل قائد شعوب الأرض قاطبة، فهنا هو خلاص لليهود وحدهم، وسيستقم اليهود من أعدائهم شرّ انتقام، ويشغلون مكانتهم التي يستحقونها باعتبارهم شعباً مقدّساً^(٣).

لكن ثمة صورة أخرى عالمية وغير قومية للعصر المشيخاني (تعبير عن الحلولية الكونية الشاملة السائلة). فهو، حسب هذه الرؤية عصر، يسود فيه السلام والوئام بين الأمم، وإذا كان الشعب اليهودي ذا مكانة خاصّة، فإنّ هذا لا يستبعد الشعوب الأخرى من عملية الخلاص. وإذا كانت الرؤية الأولى تؤكّد الفوارق الصلبة الصارمة بين اليهود والأغيار، فالرؤية الثانية تلغي الفوارق تماماً، بحيث تنتج عن ذلك حالة سيولة كونية محيطية (تشبه حالة الطفل في الرحم قبل الولادة)، ينتج عنها إسقاط الحدود تماماً، وذوبان اليهود في بقية الشعوب^(٤).

١ - راجع: محمد خليفة حسن: الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، ص ١٦.

٢ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية... والصهيونية، ص ٣١٢.

٣ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية... والصهيونية، ص ٣١٢.

٤ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية... والصهيونية، ص ٣١٢.

كما ارتبطت المَشيحانيَّة، من جانب آخر، بالتعبير الفجائي وبمظاهر العنف الذي قد يأخذ شكل البعث العسكري أحياناً، كما هو الحال مع كلٍّ من (أبي عيسى الأصفهاني)^(١)، و(داوود الرائي)^(٢)، و(ديفيد رءويني-David Reubeni)^(٣)، و(يعقوب فرانك-Jacob Frank)^(٤)، والصهيونية في نهاية الأمر^(٥).

٢- المؤثرات التاريخية والدينية والسياسية

نظراً لاتسام اليهودية بصفتي التطور والتاريخية، كما أسلفنا، فإنَّ أيَّ عقيدة أو فكرة ظهرت بها في الأغلب ما تكون نتاج تأثير عوامل تاريخية بالأساس، مضافاً إلى عوامل أخرى قد تكون سياسية، أو ثقافية، أو دينية، أو حتى نفسية. وتذهب آراء بعض المتخصصين إلى أنَّ أهمَّ فترة تاريخية أثَّرت في تطوُّر عقائد اليهودية كانت فترة السبي البابلي التي بدأت عام ٥٨٦ ق.م، بعد أن جرى إسقاط مملكة يهودا على يد (نبوخذ نصر البابلي)، وسبي اليهود إلى بلاد الرافدين^(٦). في ما يتعلَّق بعقيدة المَاشيخ اليهودية، فيردها بعضهم إلى فترة السبي البابلي؛ فقد ظهرت بعد سقوط مملكة (داوود) و(سليمان)، وسقوط المملكتين الشمالية (إسرائيل) والجنوبية (يهودا)، بوصفها محاولة دينية لتعويض سقوط المملكة الأرضية؛ إذ تقوم هذه العقيدة على الاعتقاد في قدوم مسيح مُخلَّص في مستقبل الأيام، يحقِّق الخلاص لقومه على المستويين السياسي

١ - زعيم يهودي ظهر في القرن الثامن الميلادي، ادَّعى النبوة ونُسبت إليه طائفة العيسوية.

٢ - يهودي كُردي ادَّعى أنَّه المَاشيخ، ووقفت ضدَّ دعوته المؤسسة الحاخامية اليهودية الرسمية، وقُتل على يد والد زوجته بعد أن تقاضى مكافأة على ذلك. لكن مجموعة من يهود أذربيجان بقيت تؤمن به، وتُسمَّى «الحنانيين».

٣ - يهودي شرقي ادَّعى أنَّه ملك لمملكة يهودية غير موجودة، وحصل على مساعدة ملك البرتغال الذي زوده بالسلاح قبل أن يطرده من البرتغال، ليُهاجر إلى إسبانيا، ويُعدم في محاكم التفتيش.

٤ - كان زعيماً دينياً يهودياً بولندياً، ادَّعى أنَّه تجسيد للمسيح وتابع لحركة شبتاي تسفي. أسَّس ديانة تُعرف باسم «الفرانكية»، التي جمعت بين عناصر من اليهودية والمسيحية، واشتهرت بطقوسها المثيرة للجدل وممارساتها المتطرِّفة، مثل الطقوس الجنسية.

٥ - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية... والصهيونية، ص ٣١٦.

٦ - محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية، ص ١٨٥.

والديني^(١)، ما جعل نسب هذا المسيح المخلص في بيت (داوود)؛ لأنه البيت الذي أسس الملكية وأصبح نموذجًا هو ومملكته، للملك في التاريخ السياسي والديني للإسرائيليين على حدّ سواء^(٢).

يُلاحظ في هذا الصدد أنّ ظهور فكرة الماشيخ كان لضرورة أو حاجة دينية ونفسية تتعلق باليهود؛ فوفقًا للروايات التاريخية والدينية، فإنّه بعد السبي البابلي سادت حالة من الردة بين أوساط اليهود الذين جرى سبيهم إلى بابل، والذين افتقدوا وقوف الربّ معهم، فاحتاج الحاخامات إلى ترويج فكرة «الخلاص» من أجل المحافظة على أتباع الدين اليهودي، والتي تقوم على الادعاء بخروج الماشيخ في نهاية الزمان (المشيحيّة)^(٣)، لكن عقب تسهيل (قورش) (الذي قهر بابل) عودة اليهود لفلسطين، وبناء الهيكل الثاني (الذي تدمّر في ما بعد بفعل الخلافات اليهودية الداخلية)، لم يتحقّق الخلاص، ولم يظهر الماشيخ، فكان تخريج ذلك بواسطة الحاخامات عبر الادعاء بأنّ ذنوب اليهود ومعاصيهم تحول دون خلاصهم^(٤).

يرى بعضٌ أنّ عقيدة الماشيخ لها ارتباط بالأفكار العنصرية اليهودية، وأنّ ظهورها لطبيعة نفسية يهودية ترى بضرورة تجميع اليهود في مملكة يهودية صرفة للحفاظ على نقاء الدم اليهودي، وهو ما أشار إليه الحاخام الأمريكي والزعيم الصهيوني (أبا هليل سيلفر- Abba Hillel Silver)^(٥)، من أنّ الاعتقاد بالمسيح المنتظر يرجع إلى رغبة يهودية في الحياة في سيادة وعزّة، بعد شعورهم بالحرمان من الاستقلال القومي^(٦).

١ - محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية، ص ١٩٣.

٢ - محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية، ص ١٩٣.

٣ - ديتير تسمرلنج: النهايات - الهوس القيامي الألفي -، ص ٢٧.

٤ - نبيه بشير: الخلاص اليهودي في التراث اليهودي المقدس، ص ٢٢.

٥ - حاخام أمريكي وزعيم صهيوني، وُلد في ليتوانيا، وهاجر إلى أمريكا عام ١٩٠١، وانخرط في الصهيونية منذ صباه؛ حيث أسس ناديًا لأحباء صهيون الصغار. وعلى هذا الأساس، شارك في الاتحاد الصهيوني الأمريكي. ويُعدّ من أوائل الحاخامات الإصلاحيين الذين انضمّوا للحركة الصهيونية، وحاربوا الاتجاهات المعادية لها في صفوف أتباع اليهودية الإصلاحية. ومن أهمّ مؤلفاته: «تأملات عن الماشيخ المنتظر في إسرائيل القديمة»، و«مواطن اختلاف اليهودية عن الديانات الأخرى».

٦ - محمد خليفة حسن: ظاهرة النبوة الإسرائيلية - طبيعتها، تاريخها، الموقف الإسلامي منها، ص ٨٤.

أما التأثير الديني فنلمحه في أنَّ هذه المَشيحانيَّة اليهودية تستمدُّ أصولها من كتابات أو أسفار النبوة الإسرائيلية، وهي أسفار ذات بعد تاريخي واضح؛ فنجد عند أنبياء ما قبل السبي البابلي تصويراً لهذه المَشيحانيَّة، ونجد ذلك مثلاً في كلمات النبي (عاموس) «في ذلك اليوم أُقيم مظلة داوود الساقطة وأحصن شقوقها وأقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر.....»^(١).

يمكن القول إنَّ الأنبياء قد ركزوا على التفكير في شخصيتين محوريتين، هما: (موسى) و(داوود) (عليهما السلام)، فأرادوا استعادة المثال الديني الموسوي من خلال التمسُّك بالشرعة والوصايا، وبعث المملكة القديمة المثالية (مملكة داوود)، فجمعوا في شخصي (موسى) و(داوود) الرغبة في إمكانية تحقيق الخلاص الديني والسياسي في آن، مع إصلاح الأوضاع الدينية والسياسية المتدهورة، بالتمسُّك بمثال قديم للدين، والحُكم وهو المثال الموسوي، والمثال الداوودي^(٢).

يقول (جرشوم شوليم - Gershom Scholem)^(٣) إنَّ تنبُّؤات ورسالات أنبياء الكتاب المقدَّس اعتمدت، وبدرجة متساوية، على الوحي والمعاناة واليأس لهؤلاء الذين خاطبهم الأنبياء؛ فهذه التنبُّؤات تُحدِّث بها من خلال مضمون المواقف التاريخية، وجرى التأكيد على فاعليتها في مواقف اعتُقد فيها بأنَّ نهاية الواقعة في المستقبل القريب ستحلُّ فجأة، وفي أي لحظة، إنَّها رؤية للإنسانية أفضل في نهاية الأيام متداخلة مع دوافع استردادية، مثل إعادة تأسيس مملكة داوود المثالية^(٤).

في هذا الصدد يُلاحظ أنَّ عقيدة المَاشيِّح أخذت في البداية صورة دنيوية تعبر عن درجة خافطة للغاية من الحلول الإلهي، ولكنَّها أصبحت بعد ذلك تعبيراً عن حلول إلهي كامل في المادَّة والتاريخ. وحسب هذه الصورة، فإنَّ المَاشيِّح محارب عظيم (أو هو الرجل المُمْتَطي صهوة جواده) الذي سيعيد مُلك اليهود، ويهزم أعداءهم (أشعياء ٩/٧-٩). وتزايدت درجة الحلول، ومن ثَمَّ ازدادت القداسة، فيظهر المَاشيِّح بن داوود على أنَّه ابن الإنسان أو ابن الإله (دانيال

١ - راجع: محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، ص ١٥٢-١٥٤.

٢ - راجع: محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، ص ١٩٤.

٣ - فيلسوف ومؤرِّخ إسرائيلي ألماني المولد. يعدُّ على نطاق واسع مؤسَّس الدراسة الأكاديمية الحديثة للقبالة (التصوُّف اليهودي). وكان أولَّ أستاذ للتصوُّف اليهودي بالجامعة العبرية في القدس.

4 - G. Scholem: The Messianic Idea in Judaism and Other Essays on Jewish Spirituality, P 25.

(١٣/٧)، ولَمَّا لم تتحقق الآمال المشيخانية، ظهرت صورة أخرى مكتملة للأولى، وهي صورة الماشيخ بن يوسف الذي سيعاني كثيراً، وسيختر صريعاً في المعركة، وستحل الظلمة والعذاب في الأرض (وهذه هي الفكرة التي أثرت في فكرة المسيح عند المسيحيين). ولكن سيصل بعد ذلك الماشيخ صاحب العجائب الخارق من نسل (داوود)، والذي سيأتي بالخلاص، ويفسر الحاخامات تأخر وصوله بأنه ناتج عن الذنوب التي يرتكبها الشعب اليهودي، ولذا فإن عودته مرهونة بتوبتهم^(١).

أمَّا في التلمود فتوجد ثلاثة أبحاث عن سفر إرميا تعالج مجيء الماشيخ؛ حيث إن أكثر إسهامات النبي إرميا عن الفكرة المشيخانية توجد في نبوءته عن غصن البر، الذي سيُدعى «الرب برنا»، ويظهر هذا الاسم في التلمود باعتباره اسماً سرّياً للماشيخ؛ فالخلاص في الفقرة (٢٣: ٥-٦) من سفر إرميا رُبط بشخص (داوود) الذي سيأتي «ويكون في ذلك اليوم رب الجنود إنِّي أكسر نيره عن عنقك، وأقطع ربطك، ولا يستبعده بعد الغرباء. بل يخدمون الرب إلههم وداوود ملكهم الذي أقيمهم لهم»؛ بمعنى أن الماشيخ المُخلص سيكون من بيت (داوود)^(٢).

الملاحظ على هذا التفكير الحشري المشيخاني هو وجود بُعد سياسي ظاهر، فأصبحت وظيفة الماشيخ منوطة بمهام سياسية، منها تحقيق الخلاص على المستوى التاريخي الدنيوي، وهذا الإسهام من سفر إرميا في هذا الاتجاه كان له تأثيره الكبير في تطور عقيدة الماشيخ، واحتلالها تلك المكانة الأساس في بنية الديانة اليهودية^(٣).

ثانياً: التوظيف الصهيوني لعقيدة «الماشيخ» اليهودية

كما هو الحال في دراسة أي ظاهرة أو حادثة تاريخية تتعلق باليهود واليهودية، فإن الباحث في الصهيونية يجد نفسه أمام ظاهرة شائكة ومعقدة تعترى تاريخ الجماعات اليهودية، لا سيما

١ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية... والصهيونية، ص ٣٢٢.

٢ - آسيا شكيرب: أسطورة الخلاص المسماني في العهد القديم والكتابات الأبوكاليسية - دراسة تحليلية نقدية، ص ٢٥٧-٢٥٨.

٣ - آسيا شكيرب: أسطورة الخلاص المسماني في العهد القديم والكتابات الأبوكاليسية - دراسة تحليلية نقدية، ص ٢٥٨.

في أوروبا بالعصر الحديث، وليس أدلّ على ذلك من قول الكاتب اليهودي (مايكل سيلزر- Michael Selzer): «الصهيونية ظاهرة معقدة التركيب ولا يفهمها جيداً إلا نسبة ضئيلة جداً من نُقادها ونسبة أقل من مؤيديها»^(١).

لهذا لم يكن من الغريب أن يكون المؤرّخ اليهودي نفسه للصهيونية في حيرة من أمره في دراسته للصهيونية، خاصّة في تصنيفها من ضمن الحركات القومية التي نشأت وتطوّرت بين الحركات القومية الأوروبية خلال القرن الـ ١٩؛ إذ لم تتوافر هذه الحركة، مثل بقية الحركات القومية الأوروبية، على مقوّمات الحركة القومية من وجود أرض قومية ولغة قومية، وبالتالي فالحركة الصهيونية تمثّل مشكلة في التأريخ اليهودي، لهذا يقول المؤرّخ اليهودي (ميلتون شتاينبرج- Milton Steinberg) إنّ الصهيونية أكثر مسائل الحياة اليهودية إثارة للجدل، وينقسم الرأي بخصوصها في حدّة شديدة، والنقاش فيها مشحون بالانفعالات، ويضيف أنّ الصهيونية ظاهرة معقّدة، وأنّها أكبر من مجرد مشروع للاستيطان اليهودي في فلسطين^(٢).

من وجهة نظرنا، إنّ الإشكالية الحقيقية التي سببتها الصهيونية للجماعات اليهودية قاطبة، سواء في أوروبا أم خارجها، هي إشكالية تاريخية ودينية في آن؛ فباء الصهيونية الأوائل حينما لم يجدوا عناصر قومية في حركتهم التي تهدف بالأساس لإنشاء وطن قومي لليهود، راحوا يبحثون عن تلك العناصر في الديانة اليهودية، رغم أنّهم كانوا علمانيين أقحاحاً^(٣)، وهو ما دفعهم إلى إعادة تفسير كثير من العقائد والأفكار الدينية اليهودية بشكل قومي، سواء كانت هذه الأفكار والعقائد لها أبعاد قومية أم خالية منها، وبالتالي وضع اليهودية في نسق قومي بحت بشكل يُبرّر للصهيونية هدفها القومي من جانب، ويربط جموع اليهود -سواء كانوا متدينين أم غير متدينين- بهذا المشروع الصهيوني القومي العنصري من جانب آخر.

إنّ الصهيونية جعلت من أهدافها إعادة تفسير التاريخ اليهودي العام ليُناسب أهدافها وأفكارها، فشرحت كثيراً من أحداث الماضي اليهودي بطريقة تجعل من ظهور الصهيونية ضرورة تاريخية،

1 - Michael Selzer, ed, Zionism Reconsidered: the Rejection of Jewish Normalcy, P XI.

2 - Milton Steinberg: A Partisan Guide to Jewish problem, P 221.

٣ - راجع: شلومو زند: عرق متوهم...تاريخ موجز لكرهية اليهود، ص ٤٥.

بل وتجعل من التاريخ كله مقدّمة لظهور الصهيونية، وتمهيداً لظهورها من ناحية، وتعلّل من ناحية أخرى ضرورة الحركة، وتجد لها مكاناً مناسباً في الفكر اليهودي، وعلى هذا الأساس نجد أنّ معظم النظريات الصهيونية قد صيغت في إطار التفسير العام لمعنى ومضمون التاريخ اليهودي^(١).

في ضوء ما سبق، لم يكن غريباً أن تعمد الصهيونية إلى إعادة تفسير أبرز العقائد الدينية اليهودية وأهمّها، وفي مقدّمتها عقيدة المسيح المُخَلَّص «الماشيح»؛ فرغم أنّها من أهم الأفكار الحشرية التي شملتها العقيدة اليهودية، لكنّ الصهيونية قدّمت نفسها رمزاً لمفهوم «نهاية الأيام»^(٢)، وتحقيقاً للتحوّل اليهودي من حياة المنفى ونهاية لحياة الشتات وبداية للاستقرار، وهذا يعني أنّ الصهيونية هي امتداد للفكر الخلاصي في اليهودية، ما برّر أن يصفها بعضٌ بأنّها «حركة خلاص علمانية في الفكر وفي وسائل التنفيذ»^(٣).

فسرّت الصهيونية عقيدة الماشيخ من خلال تقديم نفسها على أنّها الحلقة الأخيرة في سلسلة أحداث تاريخية يهودية، بدأت بالسبي البابلي، وتشريد الجماعات اليهودية وتدمير الهيكل اليهودي على يد الرومان عام ٧٠ ميلادية، إلى آخره من أحداث الاضطهاد التي جعلت من الصهيونية ضرورة تاريخية، وربطت ذلك بضرورة تحقيق فكرة العودة إلى صهيون، وهي فكرة قديمة في التاريخ اليهودي، استُدلّ عليها من خلال رحلات عدد من الأتقياء اليهود بعد السبي وخلال العصر الوسيط إلى فلسطين، وبهذا فسّرت الصهيونية قيام دولة إسرائيل، مستغلة إعادة تفسير فكرة الخلاص/الماشيخ، على أنّها تحقيق لرغبة كاملة في روح الإنسان اليهودي، وهي رغبة العودة^(٤).

في هذا الصدد، يتوقّف الباحث عند نقطة محاولة الصهيونية استغلال حاجة نفسية لدى

١ - محمد خليفة حسن: الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، ص ١٥ - ١٦.

٢ - مفهوم «نهاية الأيام» في اليهودية، ويُعرف بـ"אַחֲרִית הַיָּמִים". يشير إلى حقبة مستقبلية تتضمّن جمع شتات المنفيين، ومجيء الماشيخ اليهودي، وقيامه الأموات، واليوم العالمي للحساب (יום הדין)، والوصول إلى العالم الآخر والسلام والازدهار.

٣ - محمد خليفة حسن: الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، ص ١٦.

4 - Milton Steinberg: A Partisan Guide to Jewish problem, P222-223.

الشخص اليهودي، أرى أنَّها لازمتها منذ السبي البابلي، بسبب ما تعرَّض له من أحداث نفي وقهر، فكانت فكرة الخلاص ليست تعويضاً عن انهيار مملكة الأرض اليهودية الممثلة في مملكة (داوود) و(سليمان) وحسب، ولكن تعويضاً عن انهيار نفسي تعرَّضت له شخصية اليهودي، دفع كثيراً من اليهود إلى الارتداد^(١)، وجاءت الصهيونية في العصر الحديث مستغلةً أحداث «البوغروم» (Pogrom) أو المذابح التي تعرَّض لها اليهود في روسيا القيصرية عام ١٨٨١، وكذا أحداث النازية الألمانية في أوروبا، لتستغلَّ حالة الانهيار النفسي لليهود أوروبا تحديداً، وتبعث في نفوسهم من جديد الرغبة في العودة إلى أرض فلسطين، لتحقيق الخلاص، حتى لو كان الخلاص بوسائل سياسية وبشرية مخالفة لفكرة الخلاص الأساس التي تتحقَّق بوسائل إلهية وحشرية بحتة. انطلاقاً مما سبق، فسَّرت الصهيونية قيام دولة إسرائيل على أنَّه تحقيق للوعد المشيخاني بالخلاص، وإن كان بعض اليهود قد عدَّوها تحقيقاً جزئياً فقط، وأنَّ التحقيق الكامل للخلاص هو الخلاص الروحي لكلِّ البشرية عندما يكتمل العالم عدالة، وأخوة، وسلاماً، تحت حكم مملكة الخلاص الإلهية^(٢).

كما أنَّ الجماعات اليهودية الأصولية أو المتصوفة، ومن أهمهم «الحريديم»، اعترضت على هذا التفسير، ورأت أنَّ تحقيق الخلاص بالطريقة الصهيونية يعدُّ كفراً بيئاً، وتعدّياً على إرادة الرب التي تقضي بأن يتحقَّق الخلاص بوسائل دينية بحتة، وإرادة إلهية خالصة. لكن آباء الصهيونية رأوا أنَّ الناس هم من يصنعون التاريخ، وأنَّه لا مجال لأن يقوم الرب بهذه المهمَّة نيابة عنهم^(٣)؛ فقد قال الحاخام Zvi Hirsch Kalischer^(٤)، أحد أبرز آباء الصهيونية الأوائل: «إنَّ بداية الخلاص ستجيء عن طريق الجهد البشري، وإقناع حكومات العالم لتجميع شتات

١ - انظر: نبيه بشير: الخلاص اليهودي في التراث اليهودي المقدس، ص ٢٢.

2 - Abba Hillel Silver: A History of Messianic speculation in Israel, from the first through the 17th Centuries, P XX.xxI.

٣ - شلومو زند، عرق متوهم... تاريخ موجز لكرهية اليهود، ص ٥٤.

٤ - حاخام بولندي - روسي، يعدُّ من أوائل دعاة الصهيونية. وهو أوَّل حاخام يحوِّل مفهوم العودة من مفهوم ديني عاطفي إلى مفهوم سياسي صرف؛ إذ كان ينادي بأنَّ خلاص اليهود لن يتحقَّق إلا بعودتهم إلى فلسطين، وبناء المستوطنات الزراعية، تمهيداً لعودة الماشيخ المنتظر، وأي تأخير في عودتهم لفلسطين يؤخِّر عودته.

بني إسرائيل في الأرض المقدسة. وعندما تتحقق العودة بوسائلنا الأرضية، فإنَّ أشعة الخلاص السماوية ستظهر بالتدرج»^(١).

كما رأى الحاخام (يهودا قلعي-Judah Alkalai)^(٢) (١٧٩٨-١٨٧٨)، زعيم الصهيونية الدينية، أنَّه ليس من الضرورة انتظار الماشيخ لقيام دولة اليهود والعودة إلى فلسطين، ورأى أنَّ الخلاص الجديد يكون عن طريق استيطان فلسطين^(٣)، وربط بين ذلك وابتياح النبي يعقوب أرضاً من بني حموّر أبي شكيم في أرض كنعان «فلسطين»، ولهذا أصبح شراء الأراضي في فلسطين فريضة مقدسة وفقاً لرأيه، وأنَّ العودة إلى أرض فلسطين هي الخطوة الأولى نحو قدوم الماشيخ^(٤). ثم عمّق الحاخام (أبراهام إسحاق هكوهين كوك-Abraham Isaac Kook)^(٥)، الأب الروحي للصهيونية الدينية المشيخانية (١٨٦٥-١٩٣٥)، هذه الأفكار؛ حيث ربط بين الصهيونية والاستيطان، وعودة الماشيخ، ورأى أنَّ الصهيونية هي هبة إلهية أودعها الله داخل الروح اليهودية لتسبق قدوم الماشيخ^(٦).

يصف الحاخام والكاتب البولندي الأمريكي (آرثر هرتسبرج-Arthur Hertzberg) هذه المحاولات الصهيونية لتطويع فكرة الماشيخ الدينية اليهودية لخدمة أغراضها بـ «الصهيونية التوفيقية»؛ أي التي تحاول التوفيق بين حاضر الصهيونية وماضي التاريخ اليهودي، وهي فلسفة تقدّم الصهيونية على أنَّها تعبير عن مفهوم «نهاية الأيام» في الفكر الديني اليهودي، وتحقيقاً

- ١ - حسن فؤاد: المستوطنات اليهودية في الفكر الصهيوني، ص ٨-٩.
- ٢ - حاخام يهودي شرقي، كان حاخام زيمون (تقع في صربيا حالياً)، وأحد رواد الحركة الصهيونية الحديثة. كتابه الأبرز «גורל לאדוני» (نصيب للرب)، المنشور في فيينا ١٨٥٧، وله عدد من المقالات الداعية إلى العودة إلى فلسطين، وأساليب تحسين الأوضاع فيها لليهود.
- ٣ - رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، ص ٨٦.
- ٤ - رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، ص ٨٦.
- ٥ - كان حاخاماً يهودياً أرثوذكسياً لاتفياً، وأوّل حاخام أكبر لليهود الأشكناز في فلسطين. يُعدّ أحد أبرز مفكرّي الصهيونية، وأسهم في تأسيس مدرسة «مركز هراف» الدينية في القدس عام ١٩٢٤، كما آمن بأنَّ تأسيس دولة إسرائيل الحديثة هو خطوة نحو خلاص الشعب اليهودي.
- ٦ - ماضي عبد الفتاح محمد: الدين والسياسة في إسرائيل - دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية-، ص ٢٢٧.

لفكرة قدوم الماشيخ^(١)، لكن الصهيونية لم تحقّق قدوم الماشيخ، رغم أنّها نجحت في إقامة دولة إسرائيل التي وصفتها بدولة اليهود، ومع ذلك لم تنجح حتى الآن في جمع شتات اليهود وتهجيرهم جميعاً إلى هذه الدولة، بل تسبّبت في زيادة إرباك وحساسية الموقف اليهودي العام في العالم؛ بسبب الفظائع والجرائم التي ارتكبتها هذه الدولة تحت مبرّر إتمام الفكر الخلاصي اليهودي وفق ما فسّره أو صاغته الصهيونية.

تتلخّص الأزمة الدينية، التي سبّبتها الصهيونية في تفسير فكرة الخلاص / الماشيخ، في أنّ اليهودية صوّرت الخلاص، بالأساس، في صورة لقاء بين الإنسان اليهودي وإلهه؛ فالفكرة دينية حشرية؛ بمعنى أنّ هذا اللقاء المنتظر هو من بين الأحداث التي ستقع بعد نهاية العالم، لكن الصهيونية غيرت هذا المعنى، وحوّلت إلى حوار بين اليهودي والعالم، بدلاً من كونه تعبيراً عن اللقاء الأخروي بين الإنسان اليهودي وربّه، واضطّرت الصهيونية أيضاً إلى تحوير معنى الماشيخ، الذي سيأتي في نهاية الأيام لتنفيذ الخلاص، فأعلنت أنّه ليس إنساناً من نسل (داوود) له قوى خارقة للعادة، ولكنه فكرة أو رمز لحرية الإنسان اليهودي الفردية وحرّيته القومية، كما أنّه إشارة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية لجموع اليهود، أو بمعنى آخر هو رمز لتحقيق سعادة ورفاهية الإنسان اليهودي والجماعة اليهودية، وربما كانت بديلاً لسعادة الآخرة^(٢).

بهذا شخّصت الصهيونية الماشيخ في شكل أبطال قوميين أشبه بأولئك الذين حققوا مبادئ المساواة والحرية القومية لشعوب أوروبا في القرن التاسع عشر، وبهذا أبعدت الصهيونية كذلك فكرة الخلاص عن جوهرها الديني تماماً، وهو ما لا يجعلنا ندهش من خروج أصوات يهودية تنادي بضرورة عودة فكرة الماشيخ الشخصي، وعودة الخلاص المשיحاني الشخصي الذي قضت عليه الصهيونية، ففضت معه على التجربة الدينية الشخصية اليهودية الذاتية التي كان يثيرها هذا المفهوم في مشاعر الإنسان اليهودي ووجدانه^(٣).

كما رأى كثيرون أنّ الصهيونية حوّلت مفهوم الخلاص المשיحاني إلى مفهوم علماني صرف،

1 - Arthur Hertzberg ed: The Zionist Idea, A Historical Analysis and reader 4th, p 16.

٢ - محمد خليفة حسن: الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، ص ١٩.

٣ - محمد خليفة حسن: الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، ص ٢٠.

بشكل دفع بعضهم إلى القول إنَّ الصهيونية حوّلت الحديث عن أفعال الرب الإعجازية إلى الحديث عن أفعال إسرائيل القوية، وحدّروا من خطورة أن يتحوّل الفهم إلى أن قيام دولة إسرائيل في حدّ ذاته هو الإنجاز المشيخاني، وهو ما قد يؤدّي إلى الدمار^(١).

يرى بعضٌ كذلك أنَّ خطورة التوظيف الصهيوني لفكرة الخلاص المشيخاني لم تقف عند حدّ إبدال فكرة دينية بأخرى علمانية، بل إنَّ ذلك أدّى إلى إحداث تصدّع كبير في بنوية الديانة اليهودية، وطرح عدّة تساؤلات عن مصيرها بعد ظهور الصهيونية، وإمكانية أن تحلّ الصهيونية محلّ اليهودية، وهل قدّمت الصهيونية نفسها للشخص اليهودي باعتبارها حركة قومية أم ديناً يهودياً جديداً؟^(٢)

لعلّ ذلك هو ما دفع (الدكتور عبد الوهاب المسيري) في موسوعته الشهيرة «اليهود واليهودية... والصهيونية» إلى القول إنَّ الصهيونية هي عقيدة مشيخانية بشكل أو بآخر، وإنَّ السياق المحليّ للحركة المشيخانية الصهيونية هو تزايد بؤس يهود شرق أوروبا، وخصوصاً بعد تعرّض التحديث. أمّا سياقها الدّولي فهو ضعف الدولة العثمانية، وتزايد حدّة الهجمة الإمبريالية الغربية على الشرق؛ فالكتابات الغربية تزخر بإشارات إلى العودة والعصر المشيخاني الذهبي^(٣).

عن توظيف الصهيونية للفكر المشيخاني اليهودي، شرح (الدكتور المسيري) ذلك بأنَّ الصهيونية تحافظ على المشاعر والتوقّعات المشيخانية بين أعضاء الجماعات، بتصعيد إحساسهم بالاضطهاد، وبعدم الانتماء لبلادهم، حتى يفقدوا صلتهم بالزمان والمكان ويتّجهوا إلى «إسرائيل»، وأضاف أنَّ من يدرس التجارب التاريخية لأعضاء الجماعات اليهودية، يعرف أنّه لم يحدث قط أن تمكّنت أي حركة مشيخانية من السيطرة على يهود العالم جميعاً؛ وذلك بسبب عدم ترابطهم. لكن في العصر الحديث، حدث أن تمكّنت حركة مشيخانية مثل الصهيونية من الوصول إلى يهود العالم تقريباً^(٤).

١ - راجع: أسعد رزوق: في المجتمع الإسرائيلي... محاولة أوليّة دراسة التناقض والتكامل من زاوية علماء الاجتماع في إسرائيل وخارجها، ص ٧١.

٢ - محمد خليفة حسن: الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، ص ٢٠-٢١.

٣ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية... والصهيونية، ص ٣١٨.

٤ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية... والصهيونية، ص ٣١٨.

يفسّر (الدكتور المسيري) ذلك بالقول إنّ عقيدة الماشيخ أضعفت انتماء أعضاء الجماعات اليهودية (وخصوصاً في الغرب) لمجتمعاتهم، وزادت انفصالهم عن الأغيار؛ ذلك أنّ انتظار الماشيخ يلغي الإحساس بالانتماء الاجتماعي والتاريخي، ويلغي فكرة السعادة الفردية. أمّا الرغبة في العودة، فتلغي إحساس اليهودي بالمكان وبالانتماء الجغرافي. ويبدو أنّ اضطلاع أعضاء الجماعات اليهودية بدور الجماعة الوظيفية واشتغالهم بالتجارة الدولية في الغرب، بوصفهم عنصرًا تجاريًا غريبًا لا ينتمي إلى المجتمع، هو الذي عمّق أحاسيسهم المشيخانية؛ فالتاجر لا وطن له، ولا تحدّ وجدانه أو تصوّراته أي قيود أو حدود، على عكس الفلاح الذي لا يجيد التعامل إلا مع قطعة معيّنة من الأرض^(١).

ثالثًا: انعكاس عقيدة «الماشِيح» اليهودية على الممارسات العدوانية الإسرائيلية

يرى بعض أنّ العلاقة بين الصهيونية والمشيخانية تعدّ إحدى القضايا المركزية في دراسات المجتمع اليهودي في العصر الحديث؛ إذ شكّلت، ولا تزال، بؤرة نقاش حيوي، بصورة يومية في النقاش السياسي الإسرائيلي؛ لارتباط هذا الوعي الاسترجاعي ارتباطًا وثيقًا بالمشيخانية، لدرجة أنّ بعضهم رأى أنّ مدى الحضور المشيخاني في إسرائيل خلال القرن الـ ٢١ من شأنه أن يبلور المصير السياسي للكيان الإسرائيلي، بل والواقع الراهن في منطقة الشرق الأوسط؛ إذ تدفع الأعمال العدوانية الإسرائيلية دورًا حيويًا في المعتقد المشيخاني، بشأن تعجيل وقوع نبوءة نهاية العالم «آخر الأيام»، تلك النبوءة التي يؤدّي فيها اليهود دورًا مأسويًا وحيويًا، ويصبح مدى مشيخانية الصهيونية مسألة حيوية ذات دلالات استراتيجية بالنسبة إلى مستقبل المنطقة^(٢).

ولمّا كانت عقيدة الماشيخ تقوم على ضرورة انقضاء حكم الأشرار الخارجين عن دين بني إسرائيل، بعد أن يأتي ملكًا من نسل (داوود) في نهاية التاريخ «سبت التاريخ»، ليجمع شتات

١ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية... والصهيونية، ص ٣١٩.

٢ - أحمد عدنان الميالي وحسين عدنان هادي: «نقد العنف في الفكر السياسي اليهودي المعاصر»، مركز دراسات الوحدة العربية.

اليهود المنفيين، ويعود بهم إلى الأرض المقدسة، ويحطّم أعداء إسرائيل، ويتخذ أورشليم/ القدس عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل^(١). وإنّ الممارسات العدوانية الإسرائيلية التي انطلقت من هذه العقيدة انطلقت من ثلاثة أمور، وهي: استيطان الأراضي الفلسطينية، وتدمير الحرم القدسي الشريف والبناء على أنقاضه الهيكل اليهودي المزعوم، وكذا محاربة أعداء إسرائيل وفي مقدّمتهم الفلسطينيين، وهو ما تبدّى بشكل واضح في عمليات الإبادة الجماعية الوحشية ضدّهم في الحرب الأخيرة على غزة.

وبالرغم من أنّ هذه الممارسات العدوانية الإسرائيلية تبدو وليدة تطوّرات سياسية وعسكرية بالأساس، لكن ذلك البُعد الديني الماشيخاني اليهودي لم يغب عنها، بل كان يقف ظاهراً وراءها، وهو ما يمكن أن نستعرضه ونوضّحه على النحو الآتي:

١ - استيطان الأراضي الفلسطينية:

منذ قيام الكيان الإسرائيلي، قد تضخّم الحديث عن الأرض وعن ارتباط اليهودي بها، حتى ظهر مصطلح «لاهوت الأرض المقدسة» الذي يشير إلى المفهوم الديني للأرض المرتبط بالوعد الإلهي لبني إسرائيل بالأرض الموعودة المقدسة^(٢).

ناقش هذا المصطلح أموراً كثيرة، من بينها حدود هذه الأرض؛ فقد جاء في سفر التكوين (١٨/١٥) أنّ الإله قد قطع مع (إبراهيم) عهداً قائلاً: «لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات». ولكن في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر «العدد» توجد خريطة مغايرة، حدّدت على أنّها «أرض كنعان بتخومها»، وحدّدت التخوم بشكل يختلف عن خريطة سفر «التكوين»، وقد حلّ الحاخامات هذه المشكلة بأن شبّهوا الأرض بجلد الإبل الذي ينكمش في حالة العطش والجوع، ويتمدّد إذا شبع وارتوى (وهي صورة مجازية استخدمها (هرتزل - Theodor Herzl) وكثير من المفكرين الصهاينة)، وهكذا الأرض المقدسة، تنكمش إذا هجرها

١ - عبد الغني عماد: الأصول التوراتية للعنف اليهودي، ص ١٤.

٢ - شرقي مصطفى: «الأرض الموعودة بين الإسلام والعهد القديم»، ص ٩٥.

ساكنوها من اليهود، وتمتدّد وتّسع إذا جاءها اليهود من بقاع الأرض^(١). وليس من المبالغة القول إنّ إسرائيل كيان يعيش على الاستيطان فعلاً، وفي اللحظة التي تتوقّف فيها عن التمدّد الاستيطاني ستنهار، وهو ما يفسّر رفض قادتها حتى الآن الاعتراف بحدود محدّدة لدولتهم مثل أي دولة أخرى، وكذلك تخصيص وزارات حكومية، وموازنات وموارد مالية، وإمكانات لوجستية وسياسية ضخمة، وغيرها لصالح الاستيطان فقط؛ لدرجة أنّ البند الأوّل من الاتفاق الائتلافي الحكومي للحكومة الحالية لـ (بنيامين نتنياهو - Benjamin Netanyahu)، رئيس الوزراء الإسرائيلي، التي وُصفت بأنّها الأكثر يمينيّة في تاريخ إسرائيل؛ نظراً لسيطرة تيار الصهيونية الدينية عليها، يؤكّد - هذا البند - على أنّ أرض إسرائيل هي ملك للشعب اليهودي، ومن حقّه أن يستوطن أي جزء منها متى شاء. لذا تعهّد (نتنياهو) بتوسيع السيادة الإسرائيلية على مناطق يهودا والسامرة، وهو المسمّى اليهودي للضفة الغربية^(٢).

لا شكّ بأنّ هذه السياسات الإسرائيلية الاستيطانية يقف وراءها، من ضمن ما يقف، عقيدة الماشيخ اليهودية التي تقوم على فكرة العودة إلى الأرض المقدّسة، وليس أدلّ من ذلك أنّه حتى الآن يرسل بعض أعضاء الجماعات اليهودية في العالم في طلب شيء من تراب الأرض لينثر فوق قبورهم بعد موتهم، في إشارة لتحقيق الخلاص لهم في العالم الآخر^(٣).

كما انعكست عقيدة الماشيخ اليهودية على عملية استيلاء اليهود على الأراضي العربية (الفلسطينية) عقب قيام الكيان الإسرائيلي، لدرجة أنّهم أطلقوا على هذه العملية اسم «تخليص الأرض»، ورأوا في عملية الاستيلاء على الأراضي واستيطانها عملاً مشيحانياً، شاء القدر أن يكون حدثاً يشير إلى تجديد عهد الدولة اليهودية^(٤).

من جانبه، رأى الحاخام (أبراهام إسحاق هكوهين كوك - Abraham Isaac Kook)، الأب الروحي للصهيونية الدينية المشيحانيّة أنّ حرب عام ١٩٦٧ ونتائجها المختلفة هي برهان على

١ - عبد الوهاب المسيري: «الإنسانية والعدوانية في العقيدة اليهودية»، صحيفة الاتحاد.

٢ - راجع: تقرير صحيفة «زمان» الإسرائيلية بالعبرية عن الاتفاق الائتلافي الحكومي الأخير لحكومة (نتنياهو).

٣ - عبد الوهاب المسيري: الإنسانية والعدوانية في العقيدة اليهودية، صحيفة الاتحاد.

٤ - عبد الوهاب المسيري: الإنسانية والعدوانية في العقيدة اليهودية، صحيفة الاتحاد.

أنَّ إقامة الدولة تمثِّل حقًّا بدايةَ سيرورة خلاص إلهي، وأنَّ هذه السيرورة تتقدَّم بخطوات هائلة مع احتلال مناطق واسعة من الأراضي العربية، وفي قلبها مدينة القدس، وحتى من دون شخصية الماشيَّح العيني؛ إذ توجد حركات مشيخانية داخل إسرائيل مقتنعة أنَّ المزوجة بين شعب إسرائيل وأرض إسرائيل الموسَّعة، قد شكَّلت بداية عهد الخلاص دون مُحلَّص أو ماشيَّح^(١).

كما رأى بعضهم أنَّ الانسحاب من قطاع غزَّة عام ٢٠٠٥، قد تسبَّب في تآكل المنظومتين الكولونيالية الاستعمارية والمشيخانيَّة الخلاصية، تلك التي ترى في السيطرة على أرض فلسطين مقدَّمة لظهور الماشيَّح، فأسهم الانسحاب من قطاع غزَّة في انهيار فكرة «إسرائيل الكبرى» التي قامت عليها الصهيونية، ومن هنا سعت الصهيونية الدينية إلى تعريف الصهيونية من جديد عبر تأسيس علاقات قوَّة جديدة بين الدولة من جهة، والأفراد والمجتمع المدني والحركات السياسية من جهة أخرى، بهدف ترسيخ «الحق التاريخي للشعب اليهودي في أرض إسرائيل»^(٢).

أما حركة «غوش إمونيم» (Gush Emunim)^(٣) فقد رأت أنَّ دولة إسرائيل تمثِّل بداية الخلاص الإلهي، وأنَّه لا يجب أن يكون الإنسان اليهودي خاملاً في هذا الخلاص، بل يجب أن يكون له دور في تعزيز الخلاص الشامل، وذلك بزيادة النشاط الاستيطاني بها، وهو ما انعكس في أقوال (حنَّان بورات-Hanan Porat)^(٤)، أحد قادة الحركات الاستيطانية المشيخانيَّة في «إسرائيل»، بقوله: «حقًّا ثمَّة واقع آخر ليس أقلّ، بل ربما أكثر، حقيقة، إنَّها أرض إسرائيل التي فوق، سياسة الخالق، وهي في الحقيقة، واقع الخلاص في زماننا، في دولتنا»^(٥). وبهذا أصبح الاستيطان في ما يُسمَّى بـ«أرض إسرائيل الكاملة»، خاصة في الأجزاء التي جرى احتلالها في حرب عام ١٩٦٧،

١ - هليل بن ساسون: الصهيونية: الدين والمسيانية التي بينها، جبل الهيكل (الحرم القدسي كحالة قصوى)، ص ٥١.

٢ - هليل بن ساسون: الصهيونية: الدين والمسيانية التي بينها، جبل الهيكل (الحرم القدسي كحالة قصوى)، ص ٥١.

٣ - هي حركة إسرائيلية، يهوديَّة أرثوذكسيَّة يمينيَّة متطرَّفة، ملتزمة بإنشاء مستوطنات يهودية في الضفة الغربية وقطاع غزَّة والجولان. لم تعد الحركة موجودة رسمياً، لكن آثار نفوذها لا تزال موجودة في السياسة والمجتمع الإسرائيليَّين حتى الآن.

٤ - هليل بن ساسون: الدين والمسيانية التي بينها، جبل الهيكل (الحرم القدسي كحالة قصوى)، ص ٥٤.

٥ - هليل بن ساسون: الدين والمسيانية التي بينها، جبل الهيكل (الحرم القدسي كحالة قصوى)، ص ٥٤.

برنامجاً سياسياً يُحَقِّقُ نبوءة مشيحانية.

ولما كان تيار «الصهيونية الدينية» الحالي في إسرائيل بزعامته (بتسلايل سموتريتش - Bezalel Smotrich)، وزير المالية الإسرائيلي وزعيم حزب الصهيونية الدينية، و(إيتمار بن غفير - Itamar Ben-Gvir)، وزير الأمن القومي الإسرائيلي وزعيم حزب «قوة يهودية»، هو المكوّن الأساس والأكبر في هذه الحكومة، فإنّ ذلك يعكس إلى أي مدى تتحكّم أفكار هذا التيار الصهيوني في رسم السياسات الحكومية الإسرائيلية وتوجيهها، وعلى رأسها ما يتعلّق بالاستيطان، باعتباره عاملاً مهماً وحيوياً لتجهيز الأرضية لقدم الماشيخ اليهودي أو حتى التعجيل بقدومه، وفقاً لأفكار الصهيونية الدينية.

في ضوء ذلك، لم يكن غريباً أن تطلق الأوساط الصهيونية الدينية والعلمانية في إسرائيل على (بنيامين نتياهو) اسم «حمار المسيح»، في إشارة واضحة إلى أنّه مجرد أداة لتحقيق أحلام تيار الصهيونية الدينية، وما تحمله من أفكار مشيحانية يهودية، وعلى رأسها فكرة استيطان ما تُعرف بأرض إسرائيل الكاملة، في حين ينظر إليهم (نتياهو) وظيفته السياسي بوصفهم أداة للاستمرار في الحكم، والبقاء على كرسي السلطة^(١).

أخذت تسمية «حمار المسيح» تنتشر مع الوقت وتتوسّع، وبرزت أكثر مع الحرب العدوانية الأخيرة على غزّة، لدرجة أصبح يطلق على عملية «عربات جدعون» العدوانية الإسرائيلية على القطاع اسم «عربات حمار المسيح»، في إشارة إلى عبثية استخدامها، وأنّها بلا هدف واضح، وأنّ هدفها سياسي فقط، لحماية ائتلاف (نتياهو) الحاكم، والبقاء في السلطة^(٢).

من جانبه، حدّر الصحفي الإسرائيلي (بن كاسبيت - Ben Caspit) من أنّ تشكيل الحكومة الإسرائيلية الحالي يعني تحقيق تطلّعات كل من (بن غفير) و(سموتريتش) الخلاصية، المتمثلة في إقامة مملكة يهودا على أنقاض الأراضي الفلسطينية، وأنّ (نتياهو) لا يمثّل بالنسبة لهما إلا «حمار المسيح المُخلّص» الذي يركبانه لتحقيق ذلك^(٣).

١ - تقرير بعنوان «لماذا يعتبر الإسرائيليون نتياهو حمار المسيح... خبير مصري يجيب»، موقع روسيا اليوم.

٢ - تقرير بعنوان «لماذا يعتبر الإسرائيليون نتياهو حمار المسيح... خبير مصري يجيب»، موقع روسيا اليوم.

٣ - تقرير بعنوان «نتياهو الحمار المخلص المنتظر... كاتب إسرائيلي يحذّر من زوال إسرائيل بفعل الكهانة».

عن أصل المصطلح «حمار المسيح المُخلَّص»، يشير (الدكتور جعفر هادي حسن)، المتخصص في الدراسات اليهودية، بمقال له بعنوان «الصراع العلماني الديني في إسرائيل... أسبابه وتجلياته»، إلى أنَّ من الكتب التي أصبحت أكثر مبيعاً في إسرائيل كتاباً صدر نهاية القرن الماضي باللغة العبرية، بقلم (تسفي رتزلافسكي - Tzvi Ratzlavsky) ^(١)، وعنوانه «حمار المسيح»، وهو كتاب ضخيم يضم خمسمئة صفحة، يتتبع مؤلفه تاريخ نظرة اليهود المتدينين إلى العلمانيين من (موسى بن ميمون) في القرن الثاني عشر، وحتى رئيس الحاخامين الأسبق في فلسطين، الحاخام (أبراهام كوك)، في العصر الحاضر، ويستدل في كتابه على أنَّ هناك كرهاً متجذراً في نفسية المتدينين (الحريديم) اليهود تجاه العلمانيين اليهود، خاصة اليساريين منهم، واعتبارهم ممثلين للشر ^(٢).

يضيف (الدكتور جعفر هادي حسن) إنَّه ليس مصادفة أن يُقتل (إسحق رابين - Yitzhak Rabin)، رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، على يد متدين يهودي، كما أنَّ المتدينين، ولفترة طويلة، قبلوا العلمانيين اليهود على أنَّهم فقط خدم لهم، يُحضرون لظهور المسيح المُخلَّص. وطبقاً لما وصفهم به أحد الحاخامين المعروفين، فإنَّهم «حمير المسيح» (في بعض الروايات اليهودية أنَّ المسيح المُخلَّص يأتي راكباً على حمار) ^(٣).

يقول مؤلف الكتاب أيضاً، إنَّ العلمانيين يُنظر إليهم من قبل المتدينين اليهود على أنَّهم حيوانات تخدمهم، فهم يبنون المستشفيات، ويحاربون، ويحرثون الأرض من أجلهم، إلى غير ذلك؛ ولأنَّ المتدينين أصبحوا أقوياء الآن، فإنَّهم لا يخشون من القول إنَّهم في يوم ما سيُخلَّصون من العلمانيين المتعيبين والمُسئِّين الذين هم حمير لهم في إسرائيل ^(٤).

١ - أديب وكاتب وصحفي وإذاعي إسرائيلي من مواليد مارس ١٩٦٦. يكتب بشكل منتظم، عموداً في صحيفة هآرتس اليسارية. وتتركز كتاباته على المشاكل الاجتماعية والسياسية القائمة في إسرائيل.

٢ - جعفر هادي حسن: «الصراع العلماني الديني في إسرائيل أسبابه وتجلياته»، موقع الحوار المتمدن ١٦ أكتوبر ٢٠١٠.

٣ - جعفر هادي حسن: «الصراع العلماني الديني في إسرائيل أسبابه وتجلياته»، موقع الحوار المتمدن ١٦ أكتوبر ٢٠١٠.

٤ - جعفر هادي حسن: «الصراع العلماني الديني في إسرائيل أسبابه وتجلياته»، موقع الحوار المتمدن ١٦ أكتوبر ٢٠١٠.

في هذا الصدد، نلاحظ أنَّ الحاخام (كوك) يُقسِّم الخلاص الإلهي، الذي تحقَّقه الصهيونية، إلى مرحلتين: الأولى هي مرحلة تبني إسرائيل فيها الصهيونية العلمانية من أجل ذلك، وهي موجَّهة بصورة غير مدركة لها نحو الخلاص الإلهي، والمرحلة الثانية التي تحمل الصهيونية رايته بعد أن تُحكم سيطرتها على الدولة، وهي مرحلة الخلاص المدرك^(١). وهو ما يعني أنَّه منذ البداية ينظر المتدينون للعلمانيين في إسرائيل باعتبارهم مجرد أداة لتحقيق خلاصهم المدرك والحققي.

٢- هدم الحرم القدسي الشريف

كان الحرم القدسي الشريف، والذي يُعرف في الفكر الديني اليهودي بـ «جبل الهيكل»، في قلب الفكر المسيحاني اليهودي؛ إذ يُعدّ المكان الذي سيعود إليه الماشيخ لتحقيق نبوءة أو عقيدة الخلاص، وبالتالي يجب السيطرة عليه وتحويله إلى مركز يهودي، ما أدَّى إلى توالي الاقتحامات والاعتداءات اليهودية/الإسرائيلية عليه، خاصّة من أنصار الصهيونية الدينية داخل إسرائيل.

يرجع الأمر حتى إلى ما قبل قيام إسرائيل عام ١٩٤٨؛ إذ تعرّض الحرم القدسي إلى اعتداءات متكرّرة من قبل حركات يهودية مشيخانيّة، لا سيّما من الحركات التي سُمّيت بالصهيونية التصحيحية (اليمن العلماني الذي ينتسب له الليكود) التي تمخّض عنها في ثلاثينيات القرن العشرين خطاب ברית הבריונים «تحالف البلطجية/ حلف الفتوة»، وحركة אצ"ל «الإتسيل»؛ أي المنظّمة العسكرية القومية، اللذان عملا على إطلاق השופר- البوق اليهودي بجانب حائط البراق. ونادوا قبل قيام الدولة باستكمال عملية الخلاص بقوة الذراع؛ حيث قام (أوري جرينبر- Uri Zvi Greenberg)، أحد مؤسّسي تحالف البلطجية، باقتحام المسجد الأقصى في سنة ١٩٢٤، معتبراً أنَّ القدس قلب العالم، و«أنَّ جبل الهيكل يمر عبر قلب إسرائيل»، في محاولة منه لاستغلال المشاعر الدينية من أجل تحقيق السيادة على القدس^(٢).

في السياق ذاته، وضع (يائير شطيرن- Yair Shtern)، قائد عصابة כ"ח 'الصهيونية' المنظّمة

١ - محمد غمارة تقي الدين: المؤسسات الدينية في إسرائيل... جدل الدين والسياسة، ص ١٢٣.

٢ - تقرير بعنوان «تفاقم النزعات المسيانية- الأسطورية في الحركة الصهيونية واتساع صفوف حركات الهيكل»، موقع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية.

محاربو حرية إسرائيل»، بدأ في كُتِبَ بعنوان «أسس الوثبة» الذي صدر عام ١٩٤١، يدفع باتجاه «بناء البيت الثالث كرمز لحقبة الخلاص الكاملة»^(١)، والبيت الثالث هنا المقصود به الهيكل اليهودي الثالث المزعوم.

في هذا الصدد يشير البروفيسور (تومر فيرسكو-Tomer Veresko)، أستاذ الأديان بجامعة تل أبيب، إلى وجود رابط فكري / مشيخاني يربط بين «تحالف البلطجية» العلماني، وجماعة «التنظيم الإرهابي اليهودي» في سنوات الثمانين من القرن الماضي، التي حاولت تفجير قبة الصخرة، «من أجل إرغام الرب على جلب الخلاص»^(٢).

يؤكد (فيرسكو) أن أنصار «الهيكل» كانوا أقلية هامشية، ومنبوذة داخل الصهيونية - الدينية، لكنهم باتوا اليوم أكثر الأصوات التي تتعالى من داخل هذا التيار، ويمكن القول إن الاقتحامات المتزايدة للمسجد الأقصى هي ليست فقط مؤشراً على التكرار للخط الرسمي الذي وضعه الحاخام (كوك)، الأب الروحي للصهيونية الدينية المشيخانية، الذي نهى عن اقتحام باحة الأقصى، وإنما تمرّداً ضد تقاليد الشريعة اليهودية، والنظر إلى «جبل الهيكل» مثلما نظر إليه من قبل «تحالف البلطجية» باعتباره إلهاً قَبْلِيّاً بدائياً يجسّد جوهر السيادة على البلاد؛ فالجانب القومي يلعب دوراً أقوى من الجانب الديني في ما يتعلق باقتحامات المسجد الأقصى^(٣). ومن وجهة نظرنا، إن هذا نجاح كبير للصهيونية التي تمكّنت من توظيف العقائد الدينية اليهودية لتصبح ذات بُعد قومي، بل إنّها جعلت الأبعاد القومية اليهودية تتغلّب على الأبعاد الدينية.

أما في إسرائيل فتوجد عدد من الحركات الدينية اليهودية المشيخانية التي تدعو إلى بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، وتنظّم هذه الحركات اقتحامات للمجموعات اليهودية للمسجد بشكل منتظم، لكن المؤسسة الدينية اليهودية تحظر دخول اليهود إلى المسجد، وتعلّل

١ - تقرير بعنوان «تفاهم النزعات المسيانية- الأسطورية في الحركة الصهيونية واتساع صفوف حركات الهيكل»، موقع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية.

٢ - تقرير بعنوان «تفاهم النزعات المسيانية- الأسطورية في الحركة الصهيونية واتساع صفوف حركات الهيكل»، موقع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية.

٣ - تقرير بعنوان «تفاهم النزعات المسيانية- الأسطورية في الحركة الصهيونية واتساع صفوف حركات الهيكل»، موقع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية.

ذلك بأنَّ الظروف لا تسمح حاليًا بذلك؛ لأنَّه ينبغي أن تتوفر عدَّة أمور قبل الدخول إلى المكان «جبل الهيكل»، ومن ضمنها ظهور «الماشيح المنتظر»، بينما ترى هذه الحركات أنَّ بناء الهيكل الثالث، هو المفتاح لحلَّ كل مشاكل اليهود ومصائبهم، خاصة الدينية والروحية^(١).

٣- الحرب على غزَّة (شارة الماشيخ)

لا شكَّ بأنَّ العدوان الإسرائيلي على غزَّة كشف عن تلك الخلفيات الأيديولوجية المحمَّلة بدياجات دينية عن دوافع هذا العدوان وأهدافه، وهو ما تجلَّى بشكل بارز في تسميات العمليات العسكرية الإسرائيلية المتتالية على غزَّة، من أبرزها تسميتا «السيوف الحديدية»^(٢) و«عربات جدعون»^(٣)، وهما تسميتان توراتيان واضحتان، تعكسان إلى أي مدى يلعب العامل الديني دورًا بارزًا في الحروب والأعمال العدوانية الإسرائيلية.

في ما يتعلَّق بعقيدة الماشيخ اليهودية تحديدًا والحرب العدوانية الأخيرة على غزَّة، فقد كان لافتًا رصد وسائل إعلام إسرائيلية لظاهرة متصاعدة في صفوف جنود الجيش الإسرائيلي العاملين في قطاع غزَّة، تتمثَّل في وضع عدد منهم لـ «شارة الماشيخ» على أكتافهم، وهي عبارة عن قطعة قماش صغيرة مرسوم عليها تاج الملك (داود)، ومكتوب تحته بحروف عبرية بارزة كلمة **משיח** الماشيخ، في إشارة إلى القوَّة والحرب الدينية، وعودة الماشيخ الذي سيُرجع السلطة

-
- ١ - هليل بن ساسون: الدين والمسيانية التي بينها، جبل الهيكل (الحرم القدسي كحالة قصوى)، ص ٥٥.
 - ٢ - استلهمت إسرائيل هذه التسمية من التوراة، فقد وردت السيوف أداة للعقاب الإلهي في نصوص أسفار مثل مزامير داود وإشعيا، منها: «بَسِيفٍ مِنْ حَدِيدٍ أُعَاقِبُهُمْ» (إشعيا-١: ٢٧).
 - ٣ - تحمل دلالات دينية وتاريخية وعسكرية؛ إذ سبق لإسرائيل أن أطلقت الاسم نفسه على إحدى عملياتها في «نكبة ١٩٤٨»، حين سيطرت على منطقة بيسان الفلسطينية وطردت سكانها. و«جدعون» كلمة عبرية تعني المصارع، وهو شخصية توراتية ذُكرت في سفر القضاة، حاربت المديانيين «الذين سلطهم الله على بني إسرائيل لشر أفعالهم، فأمر الله «جدعون» بتخليص بني إسرائيل، وطلب منه هدم مذبح بعل، فثار عليه قومه، ولم يقف معه منهم إلا القليل». وحسب ما ورد في التوراة (سفر القضاة-الإصحاح ٧)، فإنَّ «جدعون» قَلَص عدد جيشه من ٣٠ ألفا إلى ٣٠٠ مقاتل فقط، بناء على أمر إلهي باستبعاد «الخائفين» منهم، ورغم ذلك استطاعوا التغلَّب على جيش مدين -وهم بدو من الحجاز- وجعلهم يترجعون إلى ما بعد نهر الأردن، وقضوا على ملوكهم ومن تبقى من جيشهم.

لليهود، ويُخضع كلَّ الأمم لخدمتهم، وفقاً لمعتقداتهم^(١).

أدَّى تصاعد هذه الظاهرة وتفشيها في قطاع غزة إلى ردود فعل كثيرة ومتباينة في الداخل الإسرائيلي، بين التيارات الدينية والعلمانية المختلفة، وتزايد الاتهامات للجيش الإسرائيلي بأنه تحوّل إلى جيش ديني صرف، بل وجرى وصفه بأنه جيش الماشيخ المُخلّص؛ الأمر الذي اضطر رئيس أركان الجيش الإسرائيلي السابق (هرتسي هاليفي- Herzi Halevi)، إلى نزع شارة الماشيخ من على كتف أحد الجنود بالقوّة، ووبّخه على وضعها، وقال له: «إذا كان الأمر مُهمّاً بالنسبة إليك، فإمكانك وضعها في جيبك إلى جانب قلبك بدلاً من وضعها على كتفك»^(٢).

ووفقاً لصحيفة «معاريف» الإسرائيلية، فإنَّ (هاليفي) فعل ذلك عدّة مرّات في الفترة الأخيرة، بعد أن تجاهل القادة الميدانيون طوال عام كامل الظاهرة التي استمرّت في التوسّع منذ بدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة^(٣).

ووفقاً لوسائل إعلام إسرائيلية، فإنَّ أحد الحاخامات هو صاحب هذه الفكرة، وهو الذي يقف خلف توزيع نحو مئة ألف شارة من هذه الشارات، وترمز إلى اتحاد شعب إسرائيل حول رسالة الخلاص، وإلى رسالة الإيمان التي ترافق الجنود الإسرائيليين، وأنَّ المشاركة في الحرب تُعجّل وتُسرّع عودة الماشيخ^(٤).

كان من اللافت أنَّ موقع «تيليم» الإسرائيلي باللغة العبرية نقل تصريحات أحد الجنود عن أسباب وضعه لهذه الشارة على ملابسه العسكرية؛ إذ قال ما نصّه: «إنَّ الأمر يعود إلى يوم ٧ أكتوبر الذي شهد المذبحة؛ ففي هذا اليوم شعرت أنَّ الدولة تنهار، وأنَّ كل ما وقفنا عليه طوال هذه السنوات قد سُحب من تحت أرجلنا، وأُلقي بنا إلى مياه مستعرة، حتى لا نطفو، لذلك قاتلنا بكل قوّة»^(٥).

أضاف تقرير الموقع الإسرائيلي أنَّ هذا الحدث، إلى جانب حوادث عسكرية أخرى وقعت

١ - صحيفة القدس بريس، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٤.

٢ - صحيفة القدس بريس، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٤.

٣ - صحيفة القدس بريس، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٤.

٤ - موقع إرم نيوز ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤.

٥ - راجع: التقرير على الموقع الإلكتروني الإسرائيلي «تيليم».

إبان الحرب، منها انعدام الثقة في الجيش الإسرائيلي، وفُرت الأرضية لانتشار ظاهرة «شارة الماشيخ». وفسّر تقرير الموقع ذلك بأنّ هذه الشارة لا تعدّ انتهاكاً لتقاليد الجيش، بقدر ما هدفت إلى منح دعم نفسي للضائقة، وإحساس الانكسار القائم بين الجنود عقب ٧ أكتوبر، وكذا تعبير عن فقدان الثقة المنتشر بين الجنود، سواء في جيشهم أم حتى دولتهم، وأنّ ما خيَّب أملهم هو القيم الديمقراطية والليبرالية التي قامت عليها الدولة، وليست القيم الدينية^(١).

لفت الموقع إلى أنّ الشباب الذين لم يتربّوا جيّداً على الفكر الصهيوني المؤسّس على مزج بين القومية المعيارية والقيم العالمية، مثلما جرى التعبير عنه في وثيقة الاستقلال، لم يكونوا بمعزل عن الإغراء الكامن بوجود بديل ماسيحياني ديني؛ وهو ما يعني أنّ هذه الشارة تعني كفراً منهم بالقيم الخُلقيّة والمعيّارية للجيش الإسرائيلي^(٢).

ووفقاً لحركة «حبد» الحريدية الأصولية اليهودية صاحبة «شارة الماشيخ»، فإنّها تُسمّى بالأساس بـ «راية الماشيخ»، وإنّها عبارة عن راية في وسطها تاج، وتحت منها مكتوب «משיח» أي ماسيخ بالعبرية، وأنّها تهدف إلى إثارة الوعي بقدوم الماشيخ في أوساط الجمهور الواسع. لعل ما سبق يعيدنا مرّة أخرى إلى «العامل النفسي» المنطوي وراء ظهور عقيدة الماشيخ في اليهودية، فلا شكّ في أنّ الإحساس بالخوف، والظلم، والنفي، والسبي، والمطاردة، هو إحساس يرافق اليهودي منذ السبي البابلي، وهي الفترة التاريخية التي يؤصّل غالبية الباحثين لظهور هذه العقيدة فيها، ومع ذلك نرى أنّ الصهيونية استغلّت هذا العامل النفسي المتأصّل في الشخصية اليهودية المنكسرة بسبب الاضطهاد في شرق أوروبا، وأحداث النازية، وغيرها، لتوظيف هذه العقيدة لصالح الأهداف الصهيونية، وجاءت الحرب على غزّة بما تركته من آثار نفسية شديدة السلبية على الشخصية اليهودية في إسرائيل، ليظهر معها بروز هذه العقيدة مرّة أخرى لمنح دعم نفسي لمن يؤمنون بها.

١ - راجع: التقرير على الموقع الإلكتروني الإسرائيلي «تيليم».

٢ - راجع: التقرير على الموقع الإلكتروني الإسرائيلي «تيليم».

خاتمة

في نهاية هذا البحث عن واحدة من أهم العقائد اليهودية وأبرزها، وهي عقيدة «الماشِيح» وكيفية توظيف الصهيونية لها، يمكن الخروج بعدد من النتائج والملاحظات المهمة التي نجلها أبرزها في الآتي:

اتّسمت عقيدة «الماشِيح» في اليهودية بصفة «التطور» سواء الديني أم التاريخي، أم حتى المجال الدلالي للفظ «משיח الماشِيح» في العبرية؛ لذلك لم تأخذ بُعْدًا واحدًا، وإنما تطوّرت وفق كل مرحلة تاريخية، أو حتى سياسية مرّت بها الجماعات اليهودية.

أكثر ما لوحظ على تطوّر هذه العقيدة هو تأثرها بالعوامل السياسية، لا سيّما حينما تتعرّض الجماعات اليهودية للنفي والسبي والهزيمة السياسية، ما أدّى إلى وصف هذه العقيدة بأنّها تعويض إلهي/حشري عن ضياع مملكة اليهود الأرضية.

وظّف اليهود هذه العقيدة بشكل يُمكنهم من اجتياز أزمتهم التاريخية والسياسية بل والنفسية أيضًا؛ إذ كان ملحوظًا ذلك البُعد النفسي المنطوي وراء ظهور هذه العقيدة، وتطوُّرها على مر التاريخ اليهودي؛ فتارة استُخدمت لإعادة اليهود المرتدّين عن دينهم إلى اليهودية مرة أخرى، وتارة أخرى استُخدمت لبثّ الأمل الديني في نفوس جموع اليهود عند تعرّضهم لاضطهاد سياسي، أو أزمة تاريخية، أو حتى لهزيمة عسكرية.

لم تكن هذه العقيدة بعيدة عن المؤثرات الدينية والسياسية، وهو ما تلخّص في تمسّكها بالثالين الداوودي والموسوي، نسبة إلى (داوود) و(موسى) (عليهما السلام)، للتأكيد على إمكانية تحقيق الخلاص الديني والسياسي في آن.

من غير المبالغة القول إنّ «المشيحانية» كانت العقيدة اليهودية الأساس التي وظّفها الصهيونيّة، لتحقيق مشروعها السياسي الاستعماري العنصري، المتمثّل في إقامة دولة لليهود على أرض فلسطين، وذلك بعد أن أعادت تفسيرها بأنّ الخلاص يمكن تحقيقه بوسائل سياسية وبشرية بعيدة عن أي تدخل إلهي، وأنّ العودة إلى فلسطين ضرورية لاستعجال قدوم «الماشِيح» ومن ثمّ تحقيق الخلاص.

استغلّت الصهيونية حاجة نفسية لدى جموع اليهود، خاصّة في شرق أوروبا، بعد تعرّضهم

لأحداث اضطهاد دموية، سواء في روسيا القيصرية أم أحداث النازية، لتقنع اليهود بأن الخلاص لا بدّ له من مملكة أرضية، تتمثّل في العودة لأرض فلسطين.

أضرّت الصهيونية بمفهوم «الماشيح» اليهودي الديني بوضعها له في نسق علماني صرف، ما دفع أصواتاً يهودية إلى التحذير من أنّ ذلك قد يؤدي إلى دمار اليهود. بل إنّه زاد من حدّة التساؤلات عن مصير اليهودية بعدما قدّمت الصهيونيّة نفسها ديناً بديلاً لليهودية، بتوظيفها لهذا المفهوم تحديداً بشكل علماني. تسبّب التوظيف الصهيوني للمسيحانيّة في أزمة بنوية قويّة ليس في اليهودية وحسب، ولكن في التركيب الفكري، والسردية التاريخية والدينية التي قامت عليها إسرائيل، ما يعني أنّ هذا التوظيف الصهيوني لعقيدة «الماشيح» من الأسباب التي حتمت ستودّي إلى تفكك إسرائيل وانهارها في النهاية؛ لأنّها شوّهته تماماً، وسبّبت لجموع اليهود، حتى خارج الكيان الإسرائيلي، أزمة انتماء، سواء في أوطانهم الأصلية أم في «إسرائيل»، الوطن البديل.

مثّلت هذه العقيدة حافزاً قوياً وقف وراء الأعمال العدوانية الإسرائيلية، لا سيّما ما يتعلّق باستيطان الأراضي الفلسطينية، وهو ما يمثّل شرطاً لقدم الماشيخ وتحقيق الخلاص اليهودي. كان لافتاً أن يطلق المتدينون اليهود على (بنيامين نتنياهو)، رئيس الوزراء الحالي، تسمية «حمار الماشيخ»؛ لأنهم اعتبروه مجرد أداة لتحقيق أحلامهم الدينية، وهو ما يعكس أهمية هذه العقيدة، ليس في التطلّعات الدينية لليهود إسرائيل وحسب، ولكن بالنسبة إلى مستقبل دولة «إسرائيل» التي وُصفت بـ «دولة مشيحانيّة»، أو حتى دولة وليدة لفكر مشيحاني.

لما كانت القدس في قلب التفكير المشيحاني اليهودي؛ باعتبارها المكان الذي سيخرج منه «الماشيح»، لم يسلم الحرم القدسي الشريف من اعتداءات الجماعات المشيحانيّة اليهودية التي تحلّم بإقامة الهيكل اليهودي الثالث المزعوم على أنقاضه.

في خضم الحرب العدوانية الإسرائيلية على غزّة، برزت ظاهرة ما يعرف بـ «شارة الماشيخ» التي وضعها كثير من الجنود على ملابسهم العسكرية تعبيراً عن الدوافع المشيحانيّة المنطوية وراء هذه الحرب، لكن اللافت أكثر في هذه الظاهرة أنّها بمثابة دعم نفسي للجنود الذين شعروا بالضيق النفسي من جرّاء أحداث السابع من أكتوبر، ما أكّد على أنّ عقيدة «الماشيخ» لها وظيفة نفسية، تظهر دائماً عند بروز ضرورة أو حاجة نفسية لدى الجماعات اليهودية.

لائحة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر والمراجع بالعربية:

الموسوعات:

- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية... والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، لا ط، ١٩٩٩.
- الكتب:
- ابن ميمون: سلسلة الشريعة اليهودية، شرائع الملوك وحروبهم، لا د، لا ط، لا ت.
- أحمد البهنسي: القراءون والإصلاحيون اليهود، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٩.
- أسعد رزوق: في المجتمع الإسرائيلي... محاولة أولية لدراسة التناقض والتكامل من زاوية علماء الاجتماع في إسرائيل وخارجها، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١.
- حسن فؤاد: المستوطنات اليهودية في الفكر الصهيوني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢.
- ديتير تسمرلنج: النهايات: الهوس القيامي الألفي، ترجمة: ميشيل كيلو، قدموس للنشر والتوزيع، دمشق، لا ط، ١٩٩٩.
- رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٤.
- عبد الغني عماد: الأصول التوراتية للعنف اليهودي، لا د، لا ط، لا ت.
- عبد القادر صالح: العقائد والأديان، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٦.
- ماضي عبد الفتاح محمد: الدين والسياسة في إسرائيل: دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩.
- محمد الناصر صديقي: فكرة المخلص بحث في الفكر المهدوي، دار جداول، بيروت، ٢٠١٢.

- محمد خليفة حسن: الصهيونية... طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، ١٩٨١.
- محمد خليفة حسن: ظاهرة النبوة الإسرائيلية: طبيعتها، تاريخها، الموقف الإسلامي منها، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩١.
- محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية، لا ط، القاهرة، ١٩٩٦.
- محمد خليفة حسن: تاريخ الأديان -دراسة وصفية مقارنة-، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢.
- محمد غمارة تقي الدين: المؤسسات الدينية في إسرائيل... جدل الدين والسياسة، دار نهوض للدراسات والنشر، الكويت، ٢٠٢٠.

المقالات:

- آسيا شكيرب: «أسطورة الخلاص المسياني في العهد القديم والكتابات الأبوكاليسية: دراسة تحليلية نقدية»، كتاب أعمال الندوة العلمية: الأسطورة في النصوص المقدسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان- تونس، ج ١، ٢٠١٦.
- تقرير بعنوان «نتنياهوو الحمار المخلص المنتظر... كاتب إسرائيلي يحذر من زوال إسرائيل بفعل الكهانية». انظر الرابط <https://www.mawteni48.com/archives/197734>
- تقرير بعنوان «لماذا يعتبر الإسرائيليون نتنياهو حمار المسيح... خبير مصري يجيب» على موقع روسيا اليوم، انظر الرابط <https://2u.pw/wUAYXw>
- تقرير بعنوان «تفاقم النزعات المسيانية- الأسطورية في الحركة الصهيونية واتساع صفوف حركات الهيكل» على موقع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، على الرابط <https://n9.cl/eo46n>
- جعفر هادي حسن: الصراع العلماني الديني في إسرائيل أسبابه وتجلياته، مقال منشور على موقع الحوار المتمدن بتاريخ ١٦ أكتوبر ٢٠١٠ على الرابط <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=232117>

- شرقي مصطفى: الأرض الموعودة بين الإسلام والعهد القديم، مجلة المراقبة للدراسات البحوث الإسلامية، إسطنبول، ج ٧، العدد ٧، ٢٠٢١.
- صحيفة القدس بريس، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٤ <https://qudspress.com/162858>
- عبد الوهاب المسيري: الإنسانية والعدوانية في العقيدة اليهودية، صحيفة الاتحاد، أبو ظبي، ٥ فبراير ٢٠٠٥.
- موقع إرم نيوز ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤ <https://www.ermnews.com/videos/zqezump>
- الموقع الإلكتروني الإسرائيلي «تيليم»، الرابط <https://telem.berl.org.il/10756>
- نبيه بشير: الخلاص اليهودي في التراث اليهودي المقدس، مجلة قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، العدد ٦٣، نوفمبر ٢٠١٦.
- هليل بن ساسون، الصهيونية، الدين والمسيانية التي بينها، جبل الهيكل (الحرم القدسي كحالة قصوى)، مجلة قضايا إسرائيلية، العدد ٦٣، ترجمة سليم سلامة، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، نوفمبر ٢٠١٦.

ثانيًا: المصادر والمراجع العبرية

- תנ"ך: תורה, נביאים וכתובים.
- תלמוד
- הספרים
- יוסף קלוזנר, הרעיון המשיחי בישראל, הוצאת האקדמיה הלאומית הישראלית למדעים, תל אביב, 1950.
- העיתונות
- تقرير صحيفة «زمان» الإسرائيلية بالعبرية حول الاتفاق الائتلافي الحكومي الأخير لحكومة نتنياهو على الرابط الآتي <https://www.zman.co.il/359750/popup>

ثالثاً: المراجع بالإنجليزية

- Abba Hillel Silver: A History of Messianic speculation in Israel, from the first through the 17th Centuries, Beacon Press, Boston 1959.
- Arthur Hertzberg: The Zionist Idea, A Historical Analysis and reader 4th. Printing Atheneum, New York. 1971.
- G. Scholem: The Messianic Idea in Judaism and Other Essays on Jewish Spirituality, Schocken Books, N. Y. 1971.
- Michael Selzer: ed, Zionism Reconsidered: the Rejection of Jewish Normalcy, The Macmillan Co. N.Y 1970.
- Milton Steinberg: A Partisan Guide to Jewish problem the Bobbs- Merrill Co, New York, 1945.